الشاهد العيان على احوال البلقان

رحلة الاب لويس رتزقال اليسوعي الى ادرنة (تتمة)

يكلّ اللسان عمّا يخالج قلب المرء في بعض ظروف حياته اذا تنازعتهُ عوامل الخوف او الرجاء او الظفر بالمرغوب . فهذه العواطف كلها كانت ممتزجةً في صدرنا اذ انفتح امامنا باب مسقط رأسنا ورأينا سالمين اولئك الذين ارتعدت فرائصنا مرارًا خوفًا على حياتهم الثمينة في مدّة حصار ادرنة . فبقي اللسان متلجلجاً لا يسمهُ الّا تكرار الشكر لله على نعمة سلامتهم

وزاد شكرنا لهُ تعالى الذي اوصلنا ايضاً بالعافية بعد ٢٦ يوماً مضت منذ برحنا بيروت وفي حسابنا انّنا ندخل ادرنة في ثلث هذا الوقت وكلّ يعلم انّ المسافة بين الاستانة وادرنة لا تستغرق عادةً في السكة الحديديّة اكثر من ثماني ساعات فصرفنا ثلثة اضعاف الزمن الكافي لارتياد طريق امينة تؤدي بنا الى غايتنا . فلم يخب املنا مع ما لقينا من مشاقّ السفر

فاخذنا في ذلك المساء نصيباً من الراحة نتبادل عبارات التهانئ على سلامة جميعنا ثمّ طلبنا من ساعتنا ان تُسرّد علينا تفاصيل حصار ادرنة من اوّلها الى ختامها فروعها وكانت رواياتهم الحيّة تمثل لنا الاخطار الجمّة التي احاقت بهم مدّة نحو خمسة اشهر وملاك الموت حائم فوق رؤسهم لا رجاء لهم في غير رحمة الله . والحقّ يقال انّ هذه العناية الصمدانيّة شملت على طريقة مخصوصة كلّ المستعمرة الاوربيّة المقيمة في ادرنة فلم يُصب واحد منها بأذًى سواء كانوا من الرهبان او من بقيّة الجالية . وكانت مع هذا قذائف العدوّ تخرق الجوّ فوق هامهم والرصاص يتطاير الى كلّ جانب فيُسمع صفيرهُ دون انقطاع ليلًا مع نهار . وقد سقطت بعض هذه القذائف قريباً من دارنا فانفجرت واحدة على بعد ٤٠ او ٥٠ قدماً منها وكسرت واحدة اخرى باباً ثم ساخت في الارض حيث رأيناها دفينةً . وكان احد انسبائنا يخرج كلّ صباح الى دواوين الريجي فلمّا دخل يوماً في باحة الديوان اذ انفجرت بغتة على مسافة اربعة او خمسة امتار منهُ قذيفة محشوّة رصاصاً (shrapnell) ومن وقتهِ سقط على جدار بناية

هناك فلمّا هدأ الصوت قام سليماً لكنّهُ رأى الجدار قد نفذت فيه بنادق الرصاص فثقبتهُ كالغربال . وسقطت قذيفة أخرى في اقبية الريجي دون ان تُلحق باحد ضررًا

والعجب العجاب انّهُ لم يُصَب كاثوليكيٌّ واحد بأذًى في ادرنة مدّة كلّ الحصار . امّا القتلى من بقيّة الاهلين فقد بلغ من عُرف منهم نحو المائتين وهو عدد قليل بالنسبة الى ما أُطلق من القنابل على المدينة فبعضها تفجّر في وسط البيوت وبعضها نفذ في جدران المساكن وخرج منها . وكان البلغار يطلقون قذائفهم من وراء الآكام المحيطة بأدرنة فلا يمكنهم ان يميّزوا بتدقيق بين احياء الاوروبيين ومساكن الاهلين . كما انّهم لم يراعوا المنازل القنصليّة والمعاهد الرسميّة رغمًا عن الرايات الدوليّة المنشورة فوقها فاحتجّ القناصل على عملهم لكنّ احتجاجهم لم يزل حبرًا على ورق ولم تزل حياة الجميع عرضةً للاخطار طول مدّة الحصار

فلمّا انتهى الرواة من تفاصيل هذه الوقائع كرّرنا آيات الشكر لضابط مقاليد الموت والحياة ثمّ اخلدنا الى الراحة حتى الصباح فاحتفلنا بترتيب عيد صعود الربّ الى السماء وفي اثرها زرنا بقيّة الاقارب وسمعنا من افواه الجميع اخبارهم الشخصيّة وما عانوهُ من المشاقّ وكيف نجوا من الاخطار . وكان لسانهم لا يلهج الّا بآيات الشكر للرب الذي بعينهِ الساهرة انقذهم من الف ميتة

وفيه ايضاً زرنا المستشفى العسكري الذي يقوم بتدبيره حضرة الرهبان الصعوديين فلقيتُ عندهم ١٥٠ جنديًا ممن أُصيبوا بضروب الجراحات فسرنا وسطهم وسألمنا عليهم وكانوا اذا سمعوني اتكلّم بالتركيّة او العربيّة يبشُّ وجههم وينطق لسانهم فيسرّون بمحادثتي لهم . وقد وجدتُ بينهم نفرًا قُطعت اطرافهم لشدّة البرد الذي قاسوهُ فقُطعت ايديهم وارجلهم . وكذلك تفقّدنا مستشفى الراهبات حيث عدد الجرحى كعدد المعالَجين في المستشفى العسكري . ذلك ما عدا مستشفيات اخرى منها الجمعيّة الصليب الاحمر او الهلال الاحمر ومستشفيات اخرى تتولّى في اغلبها معالجة الجرحى الراهبات او السيدات المحسنات

ولا يسعنا هنا الّا ان نردّد عبارات الشكر والمنونيّة التي كان يلهج بها كلّ اهل ادرنة وقراغاج مثنين اطيب الثناء على مروّة الكهنة الكاثوليك ورهبانهم ورواهبهم فانّ عدد الجرحى الذين عُنوا بمعالجتهم والفقراء المعوزين الذين سدّوا

رمقهم يبلغ الالوف لانَّ الآباء الصعوديين وحدهم كانوا عند اعلان الهدنة يعالجون ٥٠٠ من الجرحى. فما قولك ببقيَّة الرهبان والراهبات كالفرنسيسيين ورهبان القيامة البولونيين واخوات اغرام والراهبات الصعوديَّات فانَّ اديرتهم كانت قد استحالت الى ملاجئ ومآوي يلوذ بها كلّ من يخاف على حياته. بل كان الرهبان يطوفون المدينة غير مكترثين لانفجار القنابل ليلًا مع نهار فيعودون المرضى في البرد القارس ويوزّعون الجسنات على المساكين او يجلبون الى اديرتهم الذين كانوا معرّضين في بيوتهم للهلاك

ومن غريب الاتّفاق انَّ سراديب دير رهبان القيامة قد ضمَّت في وقت واحد قناصل دول فرنسة والنمسة وروسيَّة واستف البلغار الكاثوليك ومتروبوليت الروم الارثدكس وحاخام اليهود وعددًا لا يُحصى من اهل ادرنة من كلّ جنس وكلّ دين. وقد اجتمعنا ببعض اولئك المكروبين فكانوا يصرّحون علانيةً بانَّ للرهبان الكاثوليك اريحيَّةً لم يعهدوا لها من شبيه وبرودةً لن يبرح ذكرها من قلوبهم. اما الجنود الذين كانوا في مستشفياتهم فكانوا يردّون لو بقوا طول حياتهم عند الرهبان والراهبات فيدعونهم آباءهم وامّهاتهم واذا ودّعوهم نطقت دموعهم الفائضة عن شكرهم لتفانيهم في خدمتهم دون استثناء.

*

وكأني بالقرّاء الكرام يطلبون مني ان افيدهم عما جرى في حصار ادرنة من الحوادث الهامَّة فاقول اجمالًا انَّ ادرنة مدينة حريزة منيعة تُعَدّ من احصن المواقع الحربيَّة لما يكتنفها من الآكام فضلًا عن ثلاثة مجارٍ من المياه التي تسيل حولها فتزيدها حصانةً. وكان للمدينة من الاستحكامات ما يقوى على ردّ غارات الدّ الاعداء. لولا بعض النقص في تموين البلد بالقوت اللازم لا سيما انَّ ارباب الامر لم يجهلوا انَّ ادرنة في وقت الحصار تُصبح ملجأ لاهل القرى فكان من الواجب توفير الذخائر لسدّ هذا الخلل. وقد لحظوا انَّ ضبّاط العسكر كانوا يتنعّمون بالمآكل المتنوّعة على خلاف الجند الذين كانوا يتضوّرون من الجوع ولا ينالون لسدّ رمقهم الّا قطعاً غير كافية من خبز الماش الاسود الذي لا يرضى به اشدّ الناس فاقةً

وكان هناك خلل آخر وذلك في الاسلحة فانَّ مدافع كروب لم تكن موافقة لرمي القنابل كالمدافع الفرنسويَّة المصنوعة في معمل كروزو. وكذلك بنادق الاتراك

كانت مختلفة العيار فكان بينها ما لم تنفذ فيه القذائف او لم تبلغ قذائفهُ الغاية المقصودة. وكان الاتراك في حاجة الى طيّارات ليرصدوا حركات العدوّ ويروهم من علُ وكانَ عسكر البلغار مجهّزًا بمثلها

ومما اضرَّ بتركيًا في الحرب ان بعض اركان الدولة كانوا منقسمين بينهم يهتمّون باغراضهم السياسيَّة وتغليب احزابهم بدلًا من جمع كلمتهم في سبيل الوطن. وكانت السياسة تشغل كثيرين من الضبَّاط عن واجباتهم العسكريَّة . وقد اقرّ بعضهم انَّ الضبَّاط بسوء مثلهم اضعفوا الحميَّة الوطنيَّة في قلوب جنودهم . وبينما كان الجنود يستقتلون في محاربة العدوّ او يرمون قنابلهم في ظلمة الليل من الخنادق حيث كاد دمهم يجمد في عروقهم من البرد كان الضبَّاط يقضون الليل في الملاهي واللعب ليس احد يهتمُّ بتنظيم ضرب القنابل وتبليغ الاوامر الى المحاربين فايّ عجب بعد هذا ان كانت قذائف الترك متضعضعة لا تأتي بفائدة . وكان البلغار في اثناء ذلك يرقبون بدقَّة كلّ حركات الجنود العثمانيَّة ويلحظون شططهم ليستفيدوا من اغلاطهم

فالمسؤوليَّة في كلّ ذلك على الضبَّاط لانَّ كلّ اهل ادرنة لسان واحد في الثناء على مروءة الجند وصبرهم على مشاقّ الحرب وطاعتهم العمياء في القيام باوامر رؤسائهم مع ما كان يصيبهم من بلاء المجاعة وعناء البرد الشديد . وقد اخبرنا الآباء الصعوديُّون انَّ بعض سؤلاء المساكين كانوا يقرعون ابواب ديرهم ويطلبون كسرة من الخبز ولو بثمن بندقيَّتهم . وكم مات منهم قتلًا وبردًا وجوعًا دون ان ينبسوا بكلمة ولو شغبوا على ضبَّاطهم لقُضي على الجيش بأسره فكانوا على خلاف ذلك يصبرون الصبر الجميل على ضيقتهم. ولمَّا دخل البلغار مدينة ادرنة وجدوا بينهم نفرًا باتوا طاوين منذ يومين وثلاثة حتى اربعة ايَّام لم يذوقوا لماظةً

يحيط بادرنة سبع عشرة قلعةً وقد صرفت الدولة في تحصينها المبالغ الطائلة لتزيينها بالذخائر وتعزيزها بالدافع وبحفر الخنادق واحاطوها بالاسلاك الحديديَّة المسنَّنة فجعلوها كمنطقة بل مناطق عديدة لا يمكن قطعها الَّا بعد شقّ النفس والحناجر الجسيمة . وقد رأينا بالعيان تلك المناطق وتحقَّقنا صعوبة خرقها فكنَّا نرى على عرض ثمانية الى عشرة امتار الاسلاك الغليظة مشتبكةً ببعضها محدَّدة الرؤوس تسندها العمد الحديديَّة الراكزة في الارض . وكانت المدينة كلُّها مصونة بمثل هذا التجهيز

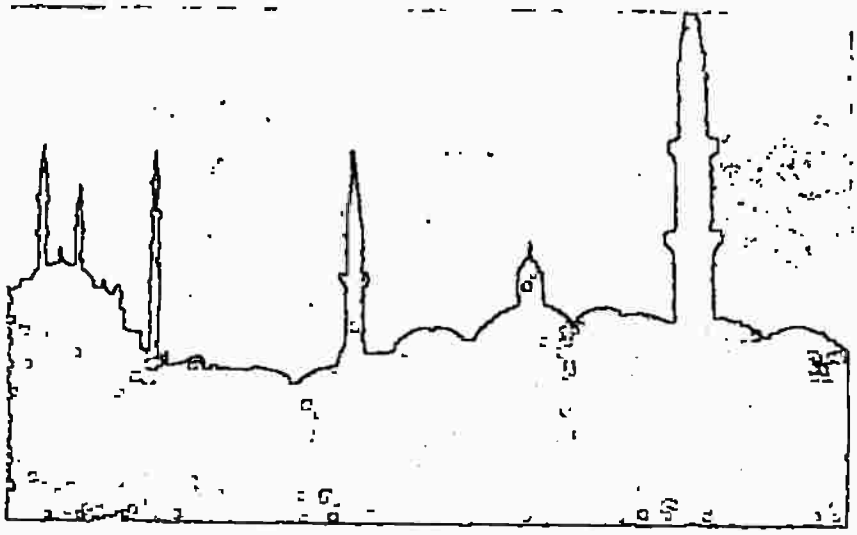

جامع السلطان سليم في ادرنة

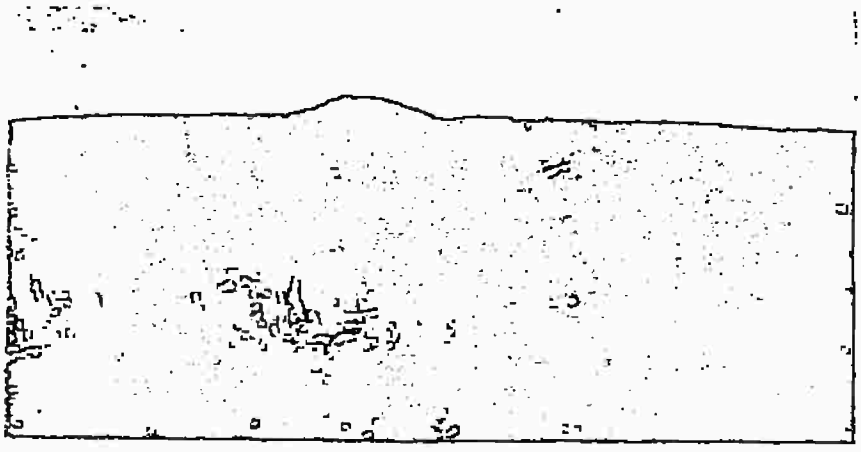

تجهيز البطاريات البلغارية على ادرنة

ومثلها الحصون والبطاريات وكان عدد مدافع الاتراك لا يقلّ عن ٦٠٠ مدفع ولكلّ مدفع خزانة قريبة منهُ يتناول منها الطوبجي حاجتهُ من القذائف. والخزانات في قتر مستورة وحفائر لا يراها العدوّ.

ما أبعد فنّ الحرب في أيامنا وطرائق تحصين المدن عمّا اعتادوهُ سابقاً. كان القدماء يعزّزون مدنهم بحصون شاهقة وابنية سامقة يحفرون حولها الخنادق الواسعة ويدعمون جوانبها بجدران متينة منعطفة لا يُستطاع تسلّقها فيقيم العدوّ الأيام والاشهر بازائها الى ان يفتح لهُ معبرًا الى باطنها او يرتدّ عنها خائباً مدحورًا. اما الاستحكامات الحاليّة فانّها تُحجب على قدر الامكان عن نظر العدوّ. وانّما يختار رؤساء الجيش الاكام التي يكشفون منها على حركات المعادين لكنّ التحصينات يجعلونها في اماكن منخفضة صوناً لها عن ضربات القذائف. والمدافع ذاتها يوكرونها في حفائر وانّما ترتفع فوهتها قليلًا عن سطح الارض وكثيرًا ما يسترونها بالحشائش والأدغال اتلّا يقف العدوّ على مراكزها

وكان في ادرنة للترك بطاريّتان عظيمتان تتألف الواحدة من ستّة مدافع كبيرة من معمل كروب وكان موقعهما في مكان مكشوف قريباً من قراغاج استعانوا بهما لضرب البلغار في معسكرهم ثمّ في حصون «كرطل تيبه» لمّا استولوا عليها. واشتهرت بين قلاع الاتراك قلعة پاپاس تيپه بما ابداهُ اصحابها من البسالة في الدفاع وبما حدث في جوارها من الوقائع الدمويّة. وهذا الحصن قريب من جسر مراش أتيح لنا بان نزورهُ. ولمّا اقتربنا منهُ كانت ابنيتهُ تلوح لنا متطوعة الرأس كأنّ القنابل قد دمّرت شرفاتها ولم نلبث ان تحقّق انّ الحصن كان في اهبته التامّة وتحصيناتهُ كلّها في وطإ الارض وفي بطون الخنادق يملوها اكوام من التراب واصونة تحول دون قنابل العدوّ. ولاحظنا حول الحصن وفي وسطهِ ثقوباً واسعة ونشوزًا من التراب والردم فهناك كانت سقطت قنابل البلغار فبعضها البالغ من ١٥ سنتمترًا الى ٢٢ سنتمترًا كان يغوص في الارض الى عمق مترين ونصف حتى ثلاثة امتار

ومن الخدع الحربيّة الجارية في أيامنا ان يضربوا العدوّ من مكان معلوم يطلعونهُ عليهِ ثمّ يفرغونهُ بنقل الدافع الى امكنة اخرى خفيةً فيُضيع العدوّ قذائفهُ بضرب المكان الاوّل لوهمهِ انّ المدافع لا تزال في مقامها. وقد اكثر البلغار من هذه

الخدع حتى تجاوزوا الحدود فمن ذلك انّ نفيرهم كان يدقّ النغمات التركيّة ويدعون بأدعية الاتراك بل نشروا زورًا الراية البيضاء غير مرّة وكانوا على خلاف ذلك لا يراعون الذين احتموا بظلّها وربّما اطلقوا قذائفهم على الامكنة الخافقة فوقها تلك راية السلم (١ وقد اكّدوا لنا انّ البلغار لم يكتفوا للمهتّين بشؤون الجرحى فصوّبوا اليهم بنادقهم مع كونهم امتازوا عن المحاربين بشريطة بيضاء . فكان هذا العمل سبباً موجباً لاهمال المرضى دون مساعدة والقتلى دون دفن في ساحة الحرب

فترى انّ هذه الحرب كانت حرباً عواناً وانّ البلغار كانوا وطّنوا العزم على استئصال شأفة اعدائهم وقد أتوا من الاعمال الهمجيّة ما يسوّد وجه التمدّن العصريّ كتجهيزهم على الجرحى في ميدان الحرب ودفنهم لبعض المجروحين قبل موتهم وكنهبهم لمدينة ادرنة بعد فتحها فكان الجند يدخلون بيوت الاهلين فيسلبون منها ما شاؤوا بل دخلوا بيوت الاجانب فخطفوا عدّة اشياء ظلماً . وكان الارمن عند دخول البلغار قد استسلموا للفرح وخرجوا بصلبانهم ليستقبلوهم وساعدوهم في النهب والسلب لكنّهم لم يلبثوا ان ندموا على فعلهم اذ وجدوا البلغار لا يرعون لهم جانباً بل اخذوا يغصبونهم اموالهم ويجرّدونهم من املاكهم . وقد سمعتُ في ادرنة غير واحد من الارمن يقول لي : انّ البلغار ليسوا بتمدّنين ولا اظنّ اننا نفوز بسلام في صحبتهم ولعلّهم يضطرّوننا الى الخروج من ادرنة . وكذلك قد اثبت الراي العام بانّ البلغار فظاظ الطباع خشان الاخلاق مع ما طُبعوا عليه من البسالة وخُصّوا به من الحنكة في الآداب الحربيّة . فهم في عهدنا بمثابة الفاتحين في اوّل ظهورهم وقد زادتهم الانتصارات الاخيرة اباء وانفةً . ولذلك ترى اليوم اليونان والصرب قد انقلبوا عليهم بعد ان جروا في محالفتهم

*

قضينا في ادرنة خمسة عشر يوماً لحان وقت الرجوع الى بيروت : ففي ١٦ آب

---

١) ولعلّ عذر البلغار انّ مدافعهم كانت على مسافة ثمانية او عشرة كيلومترات حيث لا يمكن تسديد الضرب بالدقة اللازمة . وقد ضرب البلغار مسجد السلطان سليم الجميل الهندسة لأنّ الاتراك كانوا اتخذوا احدى مناوره كمركز للتلغراف الاثيري . لكنّ الضرر اللاحق بهذا المسجد ليس بعظيم والشائع انّ البلغار يريدون تحويلهُ الى متحف عموميّ

ركبنا القطار من ادرنة ميممين بورغاس على البحر الاسود لما كان وقع من الخلاف بين البلغار واليونان فحجزت دوننا ثانيةً طريق دهده اغاج. وبتنا ليلةً في ترنوفو سيمن وهي مدينة لطيفة منقسمة الى قسمين كبودابست موقعها على ضفتي نهر ماريتزا. وقد عاينّا هناك مناظر الطبيعة الآخذة بالابصار لاسيّما عند طلوع الشمس التي كست تلك الجهات بضيائها المنيرة وأعارتها محاسن بعض الخلاء قرنسة. وتعرّفنا يومئذ باحد الاطباء العسكريين العثمانيين الدكتور رشيد افندي الازمرلي الاصل كان يخدم عسكر دولته في ادرنة فاسره البلغار في من اسروا وارسلوهُ الى ترنوفو حيث اكتسب ثقة الاهالي باطف طباعهِ فصار البلغار انفسهم يتعالجون عندهُ

بين تيرنوفو وبورغاس تمتدّ السهول المخصبة والمروج النضرة. فترى الغلّات النامية وضروب المزروعات لا سيّما بقرب مدينة يمبولي حيث يسيل نهر طوجا وهناك يقرّ النظر بمرأى احد جبال البلقان المحاق في اعالي الجوّ شمالاً

بورغاس مشتقّة من اليونانيّة πύργος وهي مدينة ساحليّة ذات مرفأ حديث متقن تولّت بناءهُ شركة بلجيكيّة والمدينة في طرف جونٍ مستطيل ترى عن جانبيها شمالاً مدينة انكيالوس الصغيرة وجنوباً مدينة سوزوبوليس القديمة. وفي اقصى الجون في البرّ بحيرة ومستنقعات كانت سابقاً متصلة بالبحر. والاثريّون يؤكدون انّ هناك كانت مدن قديمة لما تقذفهُ المياه على اطراف البحيرة من الخزفيّات والمصوكات والنقود. وقد افادنا المسيو تاكشلا (M^r Tacchella) مدير متحف صوفيا وناظر مكتبتها العموميّة سابقاً واليوم وصيف المسيو هومول (M^r Homolle) في حفريّات بلغارية انهُ كانت قديماً مدينة تدعى اردروم على مقربة من بورغاس زحف عليها الهونيّون في القرون السالفة فقتلوا اهلها ودمّروها ثمّ توالت عليها القرون فطمست آثارها الّا بعض قطع من جدرانها تُرى بقاياها حتى الآن وعلى رأيهِ انهم لو باشروا هناك حفريّات قانونيّة لوجدوا آثاراً جليلة كآثار هركولانوم وپمپاي

امّا سوزوبوليس فقد استخرج عاديّاتها المسيو دوغران (Degrand) قنصل فرنسا في فيليپي مع المسيو تاكشلا فوجدا آثاراً بديعة منها سبعة نواويس لم تُنهَك حرمتُها يرتقي عهدها الى القرن الثاني او الثالث قبل المسيح وكان في ضمنها آنية غاية في الحسن مصوّرة عليها تصاوير دقيقة كصيد الضواري وصورة الاله ابولّون والهات

الفنون الجميلة . وقد بيعت هذه الآنية بمبلغ ١٨٠٠٠ فرنك . وسواحل بلغارية من بورغاس الى فارنة غنيّة بالآثار المطمورة التي لم يكد يمسّها الاثريون

وقد بلغنا ان ملك البلغار فرديننند ذو خبرة بالغة بالعاديات ولاسيما المسكوكات القديمة التي لديهِ منها مجموعةٌ كبيرة . وهو ينشط الاثريين ويساعدهم في مشروعاتهم . وبهمّتهِ باشروا حفريّات مدينة نيكوپوليس الواقعة بجوار روستشوك . اما السياسة فالملك فرديننند احد اربابهـا المعدودين . قيل انَّ فوز الدول المتحالفة في الحرب البلقانيَّة اليهِ يرجع معظم فضلهِ . ولا ينفصل السياسة عن الشواغل الدينيَّة فانَّهُ في ايام الحرب كثيرًا ما كان يحضر تقدمة الذبيحة الالهيَّة امّـا وقت الهدنة فانَّهُ لم ينقطع عنها يوماً واحدًا . وقد اوصى اهلَ الدين باقامة الصلوات على نيَّة جيشهِ . ومما اثبتهُ لنا الثقة انَّهُ قد اتمَّ واجباتهِ الفصحيَّة في بعض الآحاد التالية لعيد الفصح وكنَّا اجتمعنا في ادرنة بمعلم ذمَّتهِ الاب قوسما (P. Cosme) الكپوشي

بورغاس مدينة صغيرة لطيفة في وسطهـا الحدائق والاشجار هواؤها معتدل وكانت قبل الحرب الاخيرة تتوقَّل معارج الرقي وقد كسدت اليوم سوقها التجاريَّة ولعلَّ فتح البلغار لدده اغاج يضرُّ بمستقبلها فتتحوَّل قريباً الى دده اغاج حركة الاشغال . وبورغاس غنيَّة بالصيد فيصطادون الاسماك من بحرها وبحيراتها ويصطادون الطيور والظباء في غاباتها وجبالها التي هي كمنتهى دعائم البلقان

والكاثوليك في بورغـاس قليلو العدد لا يزيدون على ثماني او عشر أسر من الفرنج المولودين في الشرق . ولراهبات مار يوسف مدرسة كبيرة يتردَّد اليها نحو ١٥٠ فتاةً يتربين على الآداب الفرنساويَّة . اما اهل المدينة فزهاء ١٣٠٠٠ نفس اكثرهم من البلغار ثمَّ اليونان . واقلّ منهم الارمن والترك واليهود والتسيغان (النَّور) وقد شاع بينهم لبس الطربوش وكثيرون يتكلمون بالتركيَّة . وليس لليونانيَّة سوق رائجة في بورغاس مع وفرة اليونان . ولعلَّ سبب ذلك نفور البلغار من العنصر اليونانيّ وفي القلوب حزازات لاسيما مذ اغتصبت الدولة البلغاريَّة كنيسة الروم بعد حوادث سنة ١٩٠٥ فاختصَّتها بوطنيها

صرفنا في بورغاس ثلاثة ايام منتظرين سفر الباخرة النمسويَّة سالزبورج ففي يوم الاربعاء ٢١ ايار اقلعت باخرتنا التي كان يتقدَّمها دليل بحريّ صيانةً لها من وبال

الالغام الملقاة في البحر الاسود منذ اوّل الحرب البلقانيّة وكانت باخرتنا مثقلة وسقها من طحين وذرة وجلود واخشاب مع تسعة مدافع من البرونز عيارها ٢٢ سنتمترًا ومدفعين آخرين من مدافع كروب الثقيلة وادوات لرمي القنابل المحشوّة (١)

سرنا نحو ساعة بامان واذا بالسفينة قد ارتفعت بغتةً ثمّ جنحت بشدّة الى اليمين فنظر الركّاب بعضهم الى بعض مرتعبين خوفاً من لغم تكون الباخرة صدمت به على ان هذا الجزع سكن نوعاً لمّا رأوا الضبّاط والنوتيين رابطي الجأش ساكني البال . ثمّ برت الباخرة مدّة بينما كان اربابها يستوضحون عن الامر فوجدوا انّ الماء قد دخل في قعر المركب واخذ يتزايد حتى اضطرّوا الى تفريغه بالطلمبات وامر الرئيس بنشر الراية المنذرة بالخطر وبالرجوع القهقرى الى ميناء بورغاس مع استحضار قوارب النجاة . فعدنا على رسلنا ووصلنا سالمين الى حيث اقامنا شاكرين الله على نجاتنا من الغرق . وبعد البحث تحقّق ذوو الخبرة انّ باخرتنا كانت عثرت في طريقها بسفينة يونانيّة تُدعى اليس (Elias) كانت قبل سنتين او ثلاث سنوات غرقت بعد خروجها من بورغاس في احد الانواء الشديدة . ومن عجيب الصدف انّنا بتأخرنا عن الرجوع الى الاستانة نجونا من خطر آخر كان اصابنا لا محالة اذ انّنا كنّا ركبنا مركب المساجري « سنيغال » الذي أُصيب بلغم عند دخوله في ميناء ازمير فتعطّلت بعض ادواته

عدنا فقضينا ثمانية ايّام أُخر في بورغاس وبينما افرغت الباخرة شحنها ثم تولّى العمّال اصلاح ما حدث لها من العطل فسدّوا مجاري المياه موقّتاً حتى امكننا في ٢٨ من الشهر ان نستأنف المسير الى الاستانة . وبعد ان رأينا ادرنة مرّة ثانية في حوزة الاجانب وكنّا رأيناها في كانون الثاني سنة ١٨٧٨ تحت سيطرة الروس . خفّف الله عن عباده ويلات الحروب وألهم الدول القناعة بما قسم لهم من الاملاك لهناء رعاياهم

وكان حضورنا لمصاب الباخرة سأزبورج خيراً لاربابها لانّهم عرفوا ان ستُقام عليهم دعوى بسبب الحادث الشروح آنفاً فجاء القنصل النمساويّ في بورغاس الى دير الآباء الكبوشيين حيث كنّا مقيمين وطلب الينا بصفة كونه وكيل شركة اللويد النمساويّة

(١) كانت الدولة قد باعت هذه المدافع الثقيلة لاحد اليهود الذي اراد نقلها الى اوربّة فضبطها البولغار لظنّهم انّها من الموادّ المهرّبة ولمّا وقفوا على صحّة الامر اعادوها لصاحبها الذي قصد ارسالها الى تربسته

ان نقدّم لهُ قراراً في حقيقة الواقع فحضّه بتوقيعنا فاجبنا الى ملتمسه بطيب الخاطر فشكر لنا الوكيل وربّان الباخرة عملنا اياه شكر

وكان على ظهر هذا المركب مسافراً معنا مطرونوليت قرق كنيسه الروميّ الارثدكسي الذي نال اخيراً بعد فتح المدينة الرخصة بالسفر الى الاستانة ليزور بطريرك القسطنطينية الجديد ويطلعهُ على احوال كنيسته بعد الفتح البلغاريّ . واذ كنّا على الباخرة في غرفة واحدة تسنّت لنا معرفتهُ فلقينا منهُ رجلاً ذا لطف ومؤانسة فقضينا مع سيادته ساعات نتكلّم بالروميّة ونتبادل اطراف الحديث حتى انّ الحضور كانوا يقضون العجب اذ يرون احد اساقفة الروم مصافياً لراهب يسوعيّ . وقد اطلعنا سيادتهُ على كثير من امور رعيّته وما قاساهُ الاهلون من الضيقة في مدّة حصار المدينة وكان يشكر الله على انّهُ امكنهُ ان يخفّف وطأة ذلك الخطب عن مواطنيه دون مراعاة اديانهم وقد بذل للمسلمين انواع الخدم حتى انّ مفتي المدينة قصدهُ رسميًّا وشكرهُ الشكر الجسيم على مروّته واراد ان يقبّل علانيةً قدميه لولا انّ المطرنوليت صدّهُ مراراً عن فعله . فاستنتجنا من ذلك ان رزايا الوطن لم تضعف في قلوب رعايا الدولة شواعر الإخاء والوئام بل زادت تلك الروابط وثاقاً

ولم نتريّث كثيراً في الاستانة فركبنا اوّل باخرة افرنسيّة وجدناها فنقلتنا الى بيروت في اوائل حزيران بعد غيبتنا عنها شهرين بالتمام

مريم اخت لعازر ومريم المجدلية والخاطئة الثانية

بحث كتابي للاب جاك مرنو اليسوعيّ

في ٢٢ من شهر تمّوز احتفلت الكنيستان اللاتينيّة واليونانيّة بعيد قديسة اشتهر اسمها في الانجيل الطاهر وتكرّر ذكرها بين النساء اللواتي نالَ نصيباً من سوابغ نعم المخلّص وخدمنهُ في حياته وعُنينَ بدفنه بعد موته وحظين بنعمة رؤياهُ حيًّا بعد قيامته نريد بها القديسة مريم المجدليّة . فاستحقّت بذلك ان تخصّها الكنيسة بالاكرام وتخلّد اسمها في سجلّات اولياء الله